

Tribalism Manifestations in Tribal Conflicts in Southern West Bank

مظاهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية ٢٠٢٠

Mahmud Hammad^{1*}, Daoud Al-Zeer¹.

¹Palestine Ahliya University, Bethlehem, Palestine

ARTICLE INFO

Article history:

Received 04 Jun 2020

Accepted 23 Dec 2020

Published 01 Jan 2022

*Corresponding author:

Palestine Ahliya University, Bethlehem, Palestine.

Email: m.hammad@paluniv.edu.ps.

Abstract

The study aimed at answering the following main question: What are the manifestations of tribalism that appear in tribal conflicts in southern West Bank? This question is divided into three sub-questions that embodies the reasons for the emergence of tribalism: what are the most important forms of tribalism? And to what extent can these forms be overcome? The researchers used the qualitative method. To collect the data of the study, 20 semi-structured interviews were conducted in-depth with well-experienced tribesmen from Bethlehem and Hebron Governorates. Results of the study showed that there are many reasons that stand behind tribalism and loyalty to the tribe. These reasons were represented in the nature of the epistemological, social, moral, economic, and political structure. This has been contributed to the reproduction of the concept of tribalism leading to the formation of symbolic human capital. The forms of tribalism practices were embodied by killing, revenge, clan domination, tribe recruitment (Faizah), extreme anger (Forat Addam), and the deportation of the murderer's family and his first-degree relatives (Jalwa). These practices can be attributed to a state of cultural heritage that shows tribesmen how to deal with problems in a way that reserve their mental images as the center of power by location and loyalty. These mental images were associated with false tribal understanding of the whole issue. The results of the study also showed that the Palestinian society in its cognitive, social, ideological, and economic structure is identical with the pastoral and agricultural community structure below the advanced industrial level; and that the desired change will not be in the short term. Therefore, there is an urgent need for deep thinking to create a society that is more developed and urbanized within a future vision in favor of the supreme symbol of affair and prestige, which is the homeland and the citizen as a substitute for loyalty of the tribalism concept.

Keywords: Tribalism Manifestations, Tribalism & Tribal Conflicts.

الملخص

هدفت الدراسة الى الاجابة على سؤال الدراسة الرئيس الآتي: ما مظاهر العصبية القبلية التي تتمظهر في النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية؟ ويتفرع عنه ثلاثة أسئلة فرعية تتمحور حول أسباب نشوء وتمظهر العصبية؟ وما هي أهم أشكال المظاهر العصبية القبلية؟ وما مدى امكانية تجاوز هذه المظاهر؟ واستخدم الباحثان المنهج الكيفي، وتم اجراء

٢٠ مقابلة من المقابلات المعمّقة مع وجهاء ورجال العشائر في جنوب الضفة الغربية في محافظة بيت لحم ومحافظة الخليل، وتم الاستعانة بأداة المقابلة التي أعدت لهذا الغرض، وتوصل الباحثان الى مجموعة من النتائج كان من أبرزها أن هناك أسبابا عديدة تدعو للعصبية والولاء للقبيلة، وتمثلت في طبيعة البنية المعرفية والاجتماعية الأخلاقية والاقتصادية والبناء السياسي، كل ذلك ساهم في إعادة انتاج مفهوم العصبية القبلية وصولاً لتكوين رأس المال البشري الرمزي. وتمحورت أشكال الممارسات العصبية حول (القتل والثأر، سطوة العشائر، الحشد العائلي (الفرقة)، فورة الدم، وترحيل أهل القاتل وأقاربه من الدرجة الاولى (الجلوة)، ان تلك الممارسات هي تعبير عن حالة من الموروث الثقافي في كيفية التعامل مع المشاكل. من أجل الحفاظ على صورهم الذهنية المتمثلة في مراكز القوة حسب موقعهم وولائهم، وهذه الصور الذهنية قد اقترنت بوعي عشائري زائف. كما أظهرت نتائج الدراسة أن المجتمع الفلسطيني في بنيته المعرفية والاجتماعية العقائدية والاقتصادية يتماهى مع بنية المجتمع الرعوي والزراعي دون المستوى الصناعي المتقدم وأن التغيير المنشود لن يكون في المدى القريب. لذا الحاجة ملحة الى التفكير المعمق لخلق مجتمع أكثر تطوراً ووعياً حقيقياً ضمن رؤية مستقبلية تعمل لصالح الرمز الأعلى شأناً ومكانة وهو الوطن والمواطن كبديلاً لولاء المفهوم العصبية.

كلمات مفتاحية: مظاهر العصبية، القبلية، النزاعات العشائرية.

١. المقدمة

١,١ الإطار النظري والدراسات السابقة

من المتعارف عليه أن تركيبة المجتمع العربي بشكل عام تقوم على العشائرية والقبلية، وهي تمثل حيزاً كبيراً في بنية التفكير العربية، وأصبحت تمثل جزءاً كبيراً من مساحة الهوية العربية والتي انعكست على العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع العربي كما هو الحال في شبه الجزيرة العربية، وقد أكد عالم الاجتماع العربي حليم بركات هذا المعنى في أن القبيلة لا تزال من بين أهم ركائز الحكم في الجزيرة العربية، إذ يحتل الفرد مكانته حسب موقعه وانتمائه لقبيلة ما مثل قبيلة بني النضير، وبني صخر، وبني عجمان... إلخ. وما أن تتسع قاعدة القبيلة حتى ينبثق منها قبائل أخرى تتماهى في سلوكها مع من سبقها وضمن بيئة اجتماعية تتشكل في سياقها مع ظروف بيئية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية في ظروف تكوينها ووظائفها (بركات، ١٩٩٨).

إن مفهوم العصبية القبلية يبرز بشكل جلي في الممارسات اليومية لأبناء القبيلة الذين يبذلون انتمائهم وولائهم لها في المفاخرة، والوظيفة الاجتماعية، وبناء التحالفات، وطريقة تبني حلولهم للمشاكل المجتمعية وغيرها من مظاهر الحياة اليومية. وهذا يتفق مؤقتاً مع مبدأ عبد الرحمن ابن خلدون الذي يرى أن العصبية القبلية تعتبر ضرورة ملحة للتعاون والاستمرار ملبية طموح افرادها بالولاء والحماية وربط الحرية الفردية بالحرية الجماعية للقبيلة، وبالتالي يبدو التفكير الفردي محصوراً في ثقافة جماعية تستمد عاداتها، وتقاليدها من ثقافة القبيلة، أضف الى ذلك أن العصبية تكون مدفوعة "بالوازع"، وقصد به ابن خلدون التدرج من الرغبة في السلطة المعنوية لشيوخ البدو وكبرائهم إلى السلطة المادية التي تقوم على "الغلبة والسلطان واليد القاهرة" والوازع هنا اجتماعي تفرضه طبيعة الحياة الاجتماعية، والسياسية كما هو الحال في المجتمع الفلسطيني حالياً. ولا شك أن تلازم المشكلات الاجتماعية ترتبط بالحياة المجتمعية منذ زمن بعيد، وتمتد داخل الجماعات وخارجها (الشداوي، ٢٠٠٥).

ولاحظ الباحثان أن حجم المشاكل الاجتماعية في ازدياد، على الرغم من تنوعها والانقياد في بنية التفكير بالذهاب إلى الحلول العشائرية، والتي ما زالت تعتمد على ثقافة العصبية والتي يقصد بها النعرة على ذوي القربى وأهل الارحام أن ينالهم ضيمٌ أو تصيبهم هلكةٌ.

وعلى الرغم من رأي بعض الباحثين من معارضتهم لنظرية عبد الرحمن ابن خلدون بحجة أن الزمن تجاوز مفهوم العصبية من خلال الوصول للاكتشافات الجغرافية، والتكنولوجيا وعصر التدويل في الشخصيات، وأساليب الحياة. إلا أنهم يقرون بالوجود الموضوعي كما هو الحال في المجتمع الفلسطيني كواقع مجتمعي يميز الكثير من التركيبة الاجتماعية لكثير من الدول العربية كبنية تفكير وهيكلية اقتصادية على أسس النسب والعدوان والحماية، وتبين للباحثين أن مفهوم العصبية القبلية قد تجسد في البناء الاجتماعي وألقى بظلاله على المستويات السياسية، والاقتصادية في النسق الاجتماعي الفلسطيني، لذا فإن الباحثان سيستعرضان من خلال الدراسة والتحليل في ماهية أسباب ومظاهر العصبية القبلية، والتي تتمظهر من خلال النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية في المجتمع الفلسطيني كظاهرة بديلة مكان القانون الوضعي إلى حد كبير.

البنية الاجتماعية وعلاقتها بالمفهوم العشائري

تأثرت الثقافة الاجتماعية في المجتمع العربي بطبيعة البناء الاقتصادي المتمثل في الرعي والزراعة دون الصناعة، والدين ومجموعة من الأبنية المعرفية التي تم بلورتها عبر الزمن للإنسان العربي، فرغم وجود السوق الدولي والشركات العابرة للقارات القومية، والأثنية ووجود الثقافات الفرعية إلا أن الثقافة الأوسع هي الثقافة التقليدية في بنيتها ورغم ما حدث من سرعة في التغيرات الاجتماعية إلا أن ذلك لم يرافقه تغييراً بنفس المستوى في تفكيك العلاقات الاجتماعية، وإذا ما انسلخ الفرد من الأسرة الممتدة إلى تكوين أسرة نووية إلا أنه لا يبرح مكانته العشائرية وسلطة القبيلة بشكل عام كما هو مشاهد في طرق حل ومواجهة المشكلات الاجتماعية.

ان خضوع الأفراد والجماعات للسلطان في المجتمع الفلسطيني قد يرجع إلى سببين، فإما أن يكون هؤلاء الخاضعون للحاكم شخصية تمكنه من القيادة، كعراقة النسب والشجاعة، والكرم، والخدمات التي يقدمها الأفراد للقبيلة، أو بما يمنحه لهم من حماية ووحدة، ونفوذ القبائل الأخرى وإشراكهم ما أمكن في العائلات الاقتصادية أو المخرجات الاقتصادية في النسق القرابي مثل (الدية، الديوان، والأندية ... الخ) (الجابري، ١٩٩٢).

تبلورت محاولات عديدة لدى بعض الكتاب والمفكرين العرب في تجاوز روح العصر الحالي للعالم العربي وبما يمثله من خرافة التفكير المسيطر على عقول الناس خاصة عامتهم لكنهم لم يتمكنوا من تجاوز هذا الفكر وما زالت الغلبة للتفكير الجمعي القبلي رغم الانتاج الفكري الذي يدعوا للاحترام، إلا أن التأهيل للصفة الغالبة للتقسيمات في البناء الاجتماعي هي تقسيمات عشائرية تقوم على الانتماء والقرابة والمصالح الملكية، والسياسية.

ولتأطير هذه الرؤية في التراث النظري السوسولوجي فقد وجد الباحثين نفسيهما امام مفكر شمولي يتمتع بنظرة ثابتة نحو هذا الموضوع كان محل احترام وتقدير من الباحثين في الحقل السوسولوجي العربي والغربي على حد سواء، ونقصد به عبد الرحمن ابن خلدون في نظريته عن العصبية التي حللت وفسرت العصبية القبلية.

والمعنى الدلالي لمفهوم العصبية كما ورد في لسان العرب يشير إلى دعوة واضحة للرجل بنصرة عصبته والولاء لها ضد من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين ويستعمل ابن خلدون العصبية تارة بمعنى الرابطة القبلية وتارة تعني الجماعة البدوية، أما مفهوم العصبية فتعني الجماعة ولكن ليس مطلق الجماعة ولكنها أكثر تحديداً تتكون من اقارب الرجل الذين يلازمونه، وبهذا المعنى فإن القرابة والملازمة شرطان ضروريان لوجود العصبية وهذا لا ينطبق على جماعة وفق نظام خاص تعاقدية، أو جماعة مؤقتة تتشكل بشكل طارئ ولظروف ما.

والتعصب لغةً يعني التجمع، والمقصود به التجمع المعنوي أكثر من كونه حسي (الجابري، ١٩٩٢)، وبهذا المعنى فإن نظرية ابن خلدون في مفهوم العصبية بأنها ترتبط ارتباطاً عضوياً في الدولة والعلاقات السائدة فيها على اعتبار أن الدولة امتداد مكاني وزماني لحكم عصبية ما، وذهب ابن خلدون إلى أكثر من ذلك عندما تناغم مفهوم العصبية لديه بالدين حيث ذكر " لا تتم دعوة من الدين أو الملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهر وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه " (بن خلدون، ٢٠١٤).

ولو بطلت العصبية لبطلت الشرائع إذ لا يتم قوامها إلا بالعصبية (ابن خلدون، ٢٠١٤)، وهذا الطرح يتعارض مع وجهة نظر الدين الاسلامي فقد ورد في الحديث الشريف " ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية " (رواه البخاري ومسلم، ٢٠١١) وطرح الإسلام فكرة الرابطة الدينية بدلاً من العصبية، لكن الإسلام لم يحرم العناية بالنسب لأنه وسيلة للتعرف لقوله تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتتعرفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم " صدق الله العظيم (سورة الحجرات، آية ١٣).

ويبدو أن ابن خلدون لم يقر في العصبية على أساس إنها غاية بحد ذاتها بل وسيلة هامة (استراتيجية) في محاولته لفهم وبناء نظرية يصل من خلالها إلى تفسير اسباب نشوء الدول تاريخياً بغرض معرفة الاسباب والشروط لتكوين الدول، ومن خلال التأمل في المحيط الخاص بأبن خلدون في المغرب العربي خاصة، حيث افضى إلى أن ظاهرة القوة والغلبة كانت بمثابة العامل الحاسم في حياة دول المغرب الاسلامي وأنه لا سلطان في تلك الديار إلا للقوي المتغلب، وأن مصدر القوة والغلبة هو العصبية القبلية كنظام مهيم في تلك المجتمعات، وحتى في ظل ترهل الدولة وضعفها من الترف والمجد الفردي فمصير هذه الدول أن تنهار (عبد الرازق، ٢٠٠٣).

ونلاحظ ان للماركسية لها دلوها في العصبية حيث يرى ماركس أن النظام القبلي يتشكل بفعل مزدوج، تأثير عوامل خارجية، وتطورات تجري من الداخل، فالمجتمع القبلي بعد تحضره يخضع لعوامل خارجية متنوعة مثل المناخ والجغرافيا وعوامل أخرى تحدد نمط انتاج معين، أما العامل الداخلي فهو لا يقل أهمية في تحديد تطور الجماعة بعد أن أصبحت حضرية ويرى ماركس أن هذا العامل يحدد الاستعداد الطبيعي الخاص للعشيرة أو كما يسميه "شخصية العشيرة" أي أن العائلة هي حجر الزاوية في بنية المجتمع العشائري لهذا يفترض فهم التنظيم القبلي (شراي، ١٩٨٠).

ويضيف ماركس عن تركيب القبيلة بأنها مجرد عائلة موسعة كعشيرة تتم بالتزاوج بين العائلات أو كمجموعة من العشائر، وبروز العائلة الموسعة والعائلة الصغيرة بوصفهما متميزتين عن العائلة العشيرة تمثل تطوراً حديثاً مرتبطاً بعملية الاستقرار في المدن وتكون الطبقات (شراي، ١٩٨٠).

أما في الحقل السيكلوجي فنرى أن التفسير النفسي للعصبية هي مشكلة جوهر وجودها هو وجود الكيان الانساني السوي، فإذا ما آمن الفرد بهذا النمط من السلوك في التعامل مع فرد بعينه أو مجموعة ما بعينها، فهو يعد اضطراباً في معيار الصحة النفسية أو العقلية، وهو صراع داخلي يحدث للفرد ويتم عنه اختلال التوازن، بمعنى أن الفرد المتعصب هو بحكم المريض عقلياً ونفسياً لما يتميز به من جمود وتصلب في الرأي، ويرى أصحاب هذا المنظور أن طبيعة الانسان تكره الكشف عن ثناياها والتي يخفيها بسبب ما تحمله من نزعات تنطوي على الكثير من الاخطاء والخوف من مواجهتها ويدعم هذا القول عالم النفس المصري مصطفى زيود أن التعصب ظاهرة اجتماعية لها بواعثها النفسية، ومن جهة نظرهم هذا يفسر عملية الاستعاضة عن العدوان للتعصب ليكسب موقفاً غالباً ما يكون وهمياً (الامارة، ٢٠١٩).

ويمكن القول أن المدارس النفسية قد ارجعت الشخصية المتعصبة إلى عدة عوامل معرفية، وعوامل نفسية، وعوامل بيئية، وعوامل وراثية وغيرها، وذهب آخرون مثل غوتساف إلى القول بأن افراد العرق يتشابهون بواسطة العناصر اللاواعية التي تشكل روح العرق، ويختلفون عن بعضهم البعض بواسطة العناصر الواعية الناتجة من التربية والوراثة الاستثنائية لوجود الذكاء، وهم قلة، حتى الكفاءات العقلية للبشر يزعم إنهم يذوبون وتمحي فردانيتهم في الروح الجماعية، وبهذا تسيطر الصفات اللاواعية على البشر، وقد ارجع ذلك بسبب شعور الفرد بالقوة مع الجماعة رغم أن الجمهور قد يكون مغفلاً، اما السبب الثاني فهو العدوى العقلية ويزعم أنها هي الملاحظة في المسلكيات وتجليات الصفات (لوبون: ٢٠١٥).

الولاء القبلي والبنية الاجتماعية

يقول حلیم بركات " أن الولاءات القبلية العشائرية والعائلية هي من أكثر الولاءات التقليدية رسوخاً وتأثيراً في المجتمع العربي المعاصر". (بركات، ١٩٩٨). ويضيف محمد هندي شمس الدين أن الإسلام حاول بطرق كثيرة أن يحطم الوحدة العشائرية لبناء أمة قائمة على معتقد واحد. (شمس الدين، ١٩٧٥). ويؤكد على هذا القول محمد عمارة من أن أهل العصبية القديمة من قريش الذين أفقدهم ظهور الإسلام وقيام الدولة الاسلامية الجديدة ما كان بيدهم من زمام قيادة المجتمع المكي القديم، لكن عادوا على حكم سلاح القبيلة في العهد الأموي (عمارة، ١٩٧٦).

١,١,١ الدراسات السابقة

يوجد مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع العشائرية يمكن تقسيمها الى قسمين القسم الأول كان مؤيد للحلول العشائرية بشكل مباشر او غير مباشر كدراسة كل من (الحوارني، ٢٠١٢؛ حرارة، ٢٠١٨؛ الكندري، ٢٠١٦؛ تراكي واخرون، ٢٠٠٦) حيث أكد هؤلاء على اهمية وجود الحلول العشائرية واهمية وجود العشيرة والقبيلة للحفاظ على السلم الأهلي، في حين ان هناك دراسات اخرى خلصت الى نتائج مفادها معارضة وجود الحلول العشائرية وأن القبيلة هي سبب في اضعاف المجتمع وخاصة دراسة كل من (البراك، ٢٠١٨؛ وطفة شريع، ٢٠١٢؛ ابو السعدي، ٢٠١١؛ ابو حديد، ٢٠١٠).

دراسة محمد الحوارني (٢٠١٢). "العشيرة رأسمال اجتماعي، دراسة سوسيلوجية لمكونات الولاء العشائري وتحولاته في المجتمع الاردني" هدفت دراسته للكشف عما إذا كانت العشيرة تشكل رأسمال اجتماعي واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وطبقت الدراسة على عينة بلغت ٣٠٣٢ فرداً في شمال الاردن وتوصل الباحث الى ان العشيرة تمثل رأسمال اجتماعي، وان الولاء ما زال قويا.

دراسة حرارة (٢٠١٨)، بعنوان: " اتجاهات العاملين في الهيئة العليا لشؤون العشائر للمحافظات الجنوبية ودورهم في تعزيز السلم الاجتماعي لقطاع غزة"، هدفت الدراسة التعرف على اتجاهات العاملين في الهيئة العليا لشؤون العشائر

للمحافظات الجنوبية ودورهم في تعزيز السلم الاجتماعي لقطاع غزة، استخدم الباحث المنهج الوصفي، واستعان بأداة الاستبانة لجمع البيانات من الميدان، وطبقت على عينة بلغت (٦٠) مفردة، وخلصت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

- أن السلم الاجتماعي يشكل عاملاً أساسياً لتوفير الأمن والاستقرار في المجتمع.
- أن الهيئة العليا لشئون العشائر في المحافظات الجنوبية لها دور كبير في تعزيز السلم الاجتماعي.
- أن العاملين في شئون العشائر لديهم إدراك لمفهوم السلم الاجتماعي بدرجة عالية جداً، وأن مستوى الممارسة العملية لها مرتفع جداً.
- أن المعوقات التي تواجه الهيئة في عملها لتحقيق السلم الاجتماعي مرتفعة جداً وأكثر هذه المعوقات هي التعصب الحزبي والأوضاع الاقتصادية الصعبة وعدم وجود دخل ثابت لبعض أعضاء الهيئة.
- دراسة البراك (٢٠١٨)، بعنوان: "الأحداث الجانحين والقضاء غير النظامي - محافظة الخليل نموذجاً"، هدفت الدراسة إلى وضع قضاء الأحداث ضمن سياق القضاء غير النظامي في محافظة الخليل، وتحديد مدى انصياع ومراعاة النظام غير القضائي لمصلحة الطفل الفضلي، واعتمد الباحث على الدراسة النوعية (الكيفية) في مراجعة بعض المواد المنشورة في المكتبة، بالإضافة لمجموعة من المعلومات الميدانية والتي تم جمعها من الميدان من خلال الاستبانة بأداة المقابلة المتعمقة، وخلصت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:
- أن النظام القضائي غير النظامي لا يراعي مصلحة الجانحين حيث أن الاحكام العشائرية لا تختص بفئة أو بقيود ونظم معينة تضبطها وفقاً لأي شروط ومعطيات.
- إذا تم اتخاذ أي استثناءات تكون بناء على رغبة ورأي شيخ العشيرة او رجل الاصلاح.
- أن غالبية العقوبات المفروضة تكون مادية والتي يتكفل ولي أمر الطفل بدفعها، دون النظر لأهمية تصحيح سلوك الطفل وتصويب تصرفاته بصورة ممنهجة ومختصة كما هو الحال عند التعامل مع النظام القضائي النظامي.
- دراسة الكندري (٢٠١٦)، بعنوان: "القبلية والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر - المجتمع الكويتي مثلاً"، هدفت الدراسة التعرف على الظواهر السياسية في المجتمع الخليجي بشكل عام، والمجتمع الكويتي بشكل خاص من دون الحاجة للنظر إلى القبيلة والتي تعتبر جزء من ثقافة المجتمع، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، واستعان بأداة الاستبانة لجمع البيانات من الميدان، وبلغت العينة (٣٤٣٧) مفردة، وخلصت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:
- أن القبيلة تعتبر كياناً اجتماعياً موجوداً في المجتمع المعاصر.
- على الرغم من التغيرات التي طرأت على المجتمع في بنائه الاجتماعي العام، فلا يزال للقبيلة تأثيرها المتعدد في الحياة الاجتماعية بشكل عام، وفي الحياة السياسية بشكل خاص.
- هناك أهمية قصوى بالنسبة للمجتمع لتعزيز مجموعة من القيم القبلية والمتعلقة بالتناصر والتماسك والتعاقد الاجتماعي، والطاعة، والولاء، وغيرها من المفاهيم التي يمكن استغلالها وتسخيرها في بناء المجتمع المعاصر وخدمته.
- دراسة وطفة وشريع (٢٠١٢)، بعنوان: "تحديات التعصب وخلفياته الثقافية في المجتمع الكويتي"، هدفت الدراسة الكشف عن مظاهر التعصب القبلي والطائفي ومدى انتشاره في المجتمع الكويتي من وجهة نظر الطلاب، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، واستعان بأداة الاستبانة في جمع البيانات من الميدان، وطبقت على عينة بلغت (١١٩٤) طالباً وطالبة، وخلصت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:
- هناك حضور كبير للتعصب بمختلف تجلياته الطائفية، والعشائرية، والدينية.
- أن المثقفين ورجال الدين يمارسون دوراً كبيراً في إذكاء الذاتية في المجتمع الكويتي.
- بين الطلاب انهم يميلون لرفض التعصب بمختلف اشكاله ويتمنون ازالته واجتثاثه من الحياة الاجتماعية، مع تأكيدهم على دور الدولة الكبير في ذلك.

دراسة ابو سعدي (٢٠١١)، بعنوان: " دور العقلية القبلية في تعطيل الوحدة العربية"، هدفت الدراسة توضيح مسألة الوحدة العربية وانحصارها في قالب القبلية، واستعان الباحث بالمنهج الوصفي والمنهج التاريخي، واستخدم أداة الاستبانة في جمع البيانات من الميدان، وخلصت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

هناك أثر سلبي واضح للعقلية القبلية التي تنتهجها أغلب الأنظمة العربية الحاكمة في تعطيل الوحدة العربية نتيجة تكريسها للأفكار القبلية التعصبية والنمطية.

– استمرار وجود كيانات اجتماعية منفصلة بعضها عن بعض تخدم مصالحها الخاصة والفئوية على حساب مصالح الأمة.

– ان السبيل الأساسي نحو التحرر من العقلية القبلية للشروع نحو تحقيق مشروع الوحدة العربية يتمثل في العمل نحو اصلاح الأنظمة السياسية القطرية في الوطن العربي.

– يجب السعي نحو تفعيل دور المشاركة السياسية، والديمقراطية، والحرية، والعدالة، داخل الدول القطرية العربية.

دراسة أبو حديد (٢٠١٠)، بعنوان: " التعصب القبلي في السلوك السياسي الفصائلي الفلسطيني وأثره على التنمية السياسية"، هدفت الدراسة الى القاء الضوء على السلوك السياسي للفصائل الفلسطينية، واستعان الباحث بالمنهج السلوكي، واستخدمت أداة الاستبانة لجمع البيانات من الميدان، وخلصت إلى أهم النتائج الآتية:

– أن السلوك الفصائلي الفلسطيني قد يتسم بالعصبية القبلية من خلال تبني مفرداتها القائمة على العنف والانتقام، والثائر وتميل إلى السلطة والتسلط والهيمنة.

– عملت العصبية القبلية على منع تكوين شعور وطني موحد مما يؤكد على أن الفصائل الفلسطينية مسكونة بالتعصب في علاقتها ببعضها البعض.

– هناك سلوكيات لها علاقة بالتداول على القانون من قبل قيادات الاحزاب، وبرزت سلوكيات فصائلية تتعارض مع فكر الديمقراطية من حيث تداول السلطة.

– تركز السلطة في يد حزب واحد أدى إلى تحولها لفئة مستبدة ومتسلطة بالرأي والقرار وعمل على زيادة التوتر في العلاقات الحزبية وزيادة الانشقاقات.

دراسة ليزا تراكي، وآخرون (٢٠٠٦)، بعنوان: " القضاء غير النظامي: سيادة القانون وحل النزاعات في فلسطين"، هدفت الدراسة للتعرف على القضاء غير النظامي في فلسطين من عدة زوايا تتعلق بالتعرف على الخلفيات الاجتماعية لممثلي القضاء غير النظامي وآليات عملهم ومصادر تشريعهم وحدود اختصاصهم، والتعرف على طبيعة العلاقة بين القضاء النظامي وغير النظامي في فلسطين، واعتمد الباحثون اسلوب البحث الميداني، واستعانوا بأداة المقابلة المعمقة لجمع البيانات من الميدان، وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

– أن الموروث الشعبي لا يتعارض مع طبيعة المجتمع وافكاره والتي لا زالت تتمسك بالعائلة والحمولة.

– أن النظام العشائري اثبت نجاعته في حل المشكلات رغم توتر الاوضاع السياسية المتوترة والتي كانت تؤثر على القضاء النظامي وتؤثر على مكانة وقوة اجهزة السلطة في فرض قوتها ومكانتها .

– أن القضاء العشائري أسرع في اجراءاته وأقل تكلفة على المتخاصمين.

– أن رجال الاصلاح هم من يتحملون تكاليف الاستقبال وغيرها ويقومون بعملهم دون مقابل مادي، وهم من الاشخاص الميسورين مادياً ولهم مكانة اجتماعية مرموقة.

– لا يمكن انكار العلاقات القوية لرجال السلطة مع شيوخ العشائر ورجال الاصلاح لان هناك مصالح مشتركة بينهم خاصة في ظل الاحتلال الذي يقوم بأضعاف دور السلطة ومكانتها.

من خلال رؤية فاحصة للدراسات السابقة يرى الباحثان ان الطابع الكمي هو الغالب عليها، وان الدراسات الكمية في هذا النوع من الدراسات لا يعطي انطباعاً شمولياً عما تتضمنه معطيات الدراسة، وهذا يعد قصوراً حاولت هذه الدراسة تجاوزه من خلال تبنيها للمنهج الكيفي، الذي يوفر بدوره تحليلاً منطقياً لإجابات عينة الدراسة، وتقديم تصور يمكن من خلاله بناء نموذج على حالة ذات خصوصية مجتمعية قل نظيرها بين المجتمعات الانسانية، ونقصد بها المجتمع الفلسطيني، الذي امتزجت فيه الوطنية بالعشائرية، وأصبحت هذه حالة فريدة من نوعها جديرة بالدراسة والبحث في الحقل السوسولوجي، والباحثان في هذا السياق لا يقللان من الجهد المبذول في الدراسات آنفة الذكر، ولكن في كثير من النتائج التي وردت أعلاه خلت من التحليل العميق، الامر اذ استدعى محاولة هذه الدراسة تعويضه على نحو علمي وموضوعي .

كما يلاحظ ان هذه الدراسات لم تبرز تمظهر العصبية في النزاعات العشائرية وخاصة في جنوب الضفة الغربية، ولم تتناول مفهوم العصبية القبلية بنوع من التحليل والتفكيك للوصول الى نتائج موضوعية وأكثر تفسيراً وتحليلاً لما هو موجود.

٢. مشكلة الدراسة وأسئلتها

على الرغم من تعقيدات الحياة الاجتماعية، وتفكك بعض الأبنية الاجتماعية في الفكر والممارسة، إلا أن المجتمع العشائري ما زال يفرض ذاته طالما يمثل حيزاً كبيراً في البنية المعرفية للعائلات والعشائر الفلسطينية، ويبرز ذلك بشكل جلي في الخلافات والمشاكل العشائرية وتتوج بالحلول العشائرية، وبالرغم من ذلك يمكن ملاحظة وجود وجهتي نظر حول جدوى الحلول العشائرية كمؤيد لها أو معارض، ولكن السؤال المهم هنا والذي لم يبحث من قبل هو حول ماهية أسباب ومظاهر العصبية القبلية التي تظهر في النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية؟ ويتفرع منه عدة تساؤلات فرعية كالاتي:

٢,١ أسئلة الدراسة

١. ما أسباب نشوء وتمظهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية؟
٢. ما أهم أشكال المظاهر العصبية القبلية في جنوب الضفة الغربية؟
٣. ما مدى امكانية تجاوز مظاهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية وانعكاساتها على أفراد المجتمع الفلسطيني في جنوب الضفة الغربية؟

٣. أهمية وأهداف الدراسة

٣,١ أهمية الدراسة

١. **الأهمية النظرية:** يأمل الباحثان في أن تكون هذه الدراسة إضافة نوعية للمعرفة في المكتبة العربية والتي حاولت سبر غور مظاهر العصبية القبلية بالتحليل والتعليق البناء والقائم على قاعدة معرفية ترسخت في التراث النظري والامبيريق في العلوم الانسانية بشكل عام والسوسولوجي بشكل خاص، ونظراً لافتقار الدراسات العربية للبعد الكيفي في تناول وتحليل هذا المشهد الاجتماعي الفلسطيني -الذي يمتاز بخصوصية تراكمت بفعل تغيرات زمانية امتدت لأكثر من قرن من الزمان وتغيرات مكانية حاولت النيل من جغرافية هذا المشهد- على نحو علمي موضوعي يقدم لذوي الاختصاص رؤية ذات دلالة. فقد ارتأى الباحثان ان يقوموا بقبول نتائج الدراسة في اطار مفاهيمي تفكيكي يتلاءم مع التغيرات في البناء الاجتماعي الفلسطيني.

٢. **الأهمية التطبيقية:** تستعرض نتائج هذه الدراسة أهم أسباب ومظاهر العصبية القبلية المهددة للسلم الأهلي في المجتمع الفلسطيني، وعلاقتها مع القضاء العشائري، وعرض تصور لاتجاهات حديثة نحو حقوق الأفراد واحترام إنسانية الإنسان دون تحيز أو تمييز، من خلال عقد ندوات ومؤتمرات علمية وجماعية لخلق حالة من الوعي المجتمعي بدلاً من الوعي الزائف المتمثل في العصبية القبلية، والانتماء للهوية الوطنية بدلاً من الولاء للعصبية القبلية.

٣,٢ أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب ومظاهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية في المجتمع الفلسطيني (محافظة الخليل، ومحافظة بيت لحم) ويتفرع من هذا الهدف الرئيس الأهداف الفرعية الآتية:

١. التعرف على أسباب تمظهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية.
٢. الكشف عن أهم أشكال المظاهر العصبية القبلية في جنوب الضفة الغربية.
٣. التعرف على مدى امكانية تجاوز مظاهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية وانعكاساتها على افراد المجتمع الفلسطيني في جنوب الضفة الغربية.

٤. التعريفات الإجرائية

العصبية لغةً: (Tribalism)

أن يدعو الرجل إلى نصره عصبيته والتآلب معهم على أن ينالهم، ظالمين كانوا أو مظلومين وقد تعصبوا عليهم إذ تجمعوا، فإن تجمعوا على فريق آخر قيل تعصبوا (ابن منظور، ب.د.ت). العصبية اصطلاحاً: "هي النعرة على ذوي القربي وأهل الارحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة (ابن خلدون، ٢٠٠٥). العصبية إجرائياً: الموالاة للقبيلة، أو العشيرة بشكل تام ومناصرتها سواء ظالمة أو مظلومة كانت وتندرج تحت السلوك الانساني من الناحية المذهبية أو المناطقية وقد يكون لها آثار سلبية على الفرد والمجتمع جراء انتشارها بشكل عفوي وبدون وعي.

الوعي العصبى

كياناً واسعاً تتسع فيه دائرة نحن بدلاً من أنا وكأنها رابطة سيكولوجية شعورية ولا شعورية يرتبط بها أفراد الجماعة، أساسه القرابة لتستمد العلاقة وتشتد خاصة في ظل خطر يهدد أولئك الأفراد (الجابري، ١٩٩٢). الوعي العصبى اجرائياً: هو الذي يجعل الافراد المتعصبين يقيسون الأمور بطريقة عقلية منطقية، يتم قياسها في كافة القضايا والأفعال مهما كانت خاطئة ويحسبون النتائج قبل البدء في التفكير والمناقشة، والالتزام بالحق، وانهاء الباطل والنقد الذاتي وتصحيح المسارات.

القبيلة

جمعها قبائل وتعني الجماعة من الأشخاص الذين ينتسبون إلى أب واحد أو جد واحد، وقد يشكلون كياناً اقتصادياً، واجتماعياً وسياسياً في حدود البيئة أو حتى كعائلات متفرقة وتخضع لرئيس واحد (ذياب، ١٩٨٠). القبيلة اجرائياً: مجموعة من الأفراد ينتمون الى جد واحد وتتكون من عدة عشائر تتميز بالاستقرار الاجتماعي، لهم لغة واحدة وتجمعهم قيم وتقاليدها متعارف عليها تلزمهم بتنفيذها.

العشيرة

جمعها عشائر وهي تعني عند قول عشيرة الرجل إلى أبيه وأقاربه وقبيلته، وقد تشمل الفروع والأصل (معجم اللغة العربية، ٢٠٠٤). العشيرة اجرائياً: هي امتداد للأسرة وتعتبر وحدة اجتماعية تتميز بالتسلسل القرابي مع نظام سكاني ووحدة مكانية، تنتسب لجد واحد في مؤسسة اجتماعية تهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار والالفة والمحبة والمودة واصلاح التكافل الاجتماعي ونبذ التطرف والعنف والصراع الذي يحدث بينهم.

الحلول العشائرية

عقد تتقابل فيه الالتزامات يعقد بإرادة الطرفين ويسفر عن النزول عن العقوبة كلها أو بعضها مقابل التزامات معينة يجب على المسؤول اداءها أو هو إجراء من شأنه أن ينهي الخصومة والعداوة في النفوس المتنازعة، وهو كل تنازل من أصحاب الحق عن حقهم في متابعة إنزال العقوبة بالجاني سواء كان في صورة صلح او عفو سواء تضمن مقابلاً للصلح او لم يتضمن (شلهوب، ومصطفى، ٢٠٠٣). الحلول العشائرية اجرائياً: عقد تتقابل فيه الالتزامات بإرادة الطرفين لإنهاء الخلافات والمشاكل وينتج أحياناً التنازل عن العقوبة جميعها أو جزء منها، مقابل التزامات معينة يجب على المسؤول اداءها لإنهاء الخصومة والعداوة المتنازع عليها لينتج بعد ذلك الاصلاح وشفاء القلوب ويغلب عليها سلطة الجاه والوجه وقوة العشيرة والعزوة والمصالح المشتركة.

النزاعات العشائرية

كما ورد في السابق هي أسلوب أو منهج معتمد بين العشائر يرتكز على أسس وجسور مبنية ونظم وقواعد متوارثة جيلا بعد جيل لفض المنازعات وحل الخلافات وما يرتبط به من عادات وتقاليدها وعراف ويمتاز بالسرعة في البت في النزاعات والوساطة والإصلاح وصفاء القلوب ويغلب عليه الطابع الجنائي وله قوة الزامية سلطة الجاه والوجه وقوة العشيرة والعزوة والمصالح المشتركة دون وجود سلطة تنفيذية ويسود تبعاً للروابط العائلية، وهو عقد ملزم بين الطرفين لا يجوز الرجوع عنه وتسقط به دعوى المدعي (جرادات، ٢٠١٤).

٥. الطريقة

٥,١ منهجية الدراسة

تبنت هذه الدراسة المنهج النوعي "الكيفي" Qualitative وهذا النوع من المناهج يهتم بدراسة الظواهر التي ترتبط بالكيفية التي تشتمل عليها، والبحث الكيفي مهم بصورة خاصة في العلوم السلوكية، إذ يهدف إلى اكتشاف الدوافع الأساسية للسلوك الانساني، ومن خلال هذه الأبحاث يمكننا تحليل العوامل المختلفة التي تدفع الناس كي يتصرفوا بأسلوب معين (جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٨)، وطالما ان هذه الدراسة تبحث في دراسة وتحليل المظاهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية وكيفية تبلور علاقاتها في الاشكال والممارسة فلا مناص من ان يكون المنهج الكيفي هو دليلنا للوصول الى تحقيق اهداف الدراسة والاجابة عن تساؤلاتها .

٥,٢ تحليل البيانات

قام الباحثان باتباع الاسلوب الكيفي (النوعي) كونه يلائم هذا النوع من الدراسات، وذلك عن طريق ربط وتفسير المقابلات وتحليلها والتعليق عليها من خلال النظريات الاجتماعية العالمية، وتفسير نتائج الدراسة الكيفية في ضوء نتائج الدراسات السابقة.

٥,٣ أدوات الدراسة

قام الباحثان ببناء أداة المقابلة المتعمقة في جمع البيانات الميدانية من المبحوثين وذلك لملاءمتها لمنهج الدراسة الكيفي، وتم اجراء عشرون مقابلة من جميع افراد مجتمع الدراسة بواقع عشر مقابلات في محافظة بيت لحم، وعشر مقابلات من محافظة الخليل.

٥,٤ مجالات الدراسة

المجال الجغرافي: محافظتي بيت لحم والخليل في جنوب الضفة الغربية في المجتمع الفلسطيني.

المجال الزمني: بدأ الباحثان بتجميع الاطار النظري وجمع البيانات من الميدان وتحليل وتوفير المادة الميدانية من شهر اكتوبر ٢٠١٩ لغاية شهر شباط ٢٠٢٠.

المجال البشري: وجهاء العشائر الذين يقومون بالإصلاح بين افراد المجتمع الفلسطيني ومتخذي القرار لدى القبائل والعشائر في محافظتي بيت لحم والخليل.

٥,٥ مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من جميع رؤساء ووجهاء العشائر ومتخذي القرار لدى القبائل والعشائر في محافظتي بيت لحم والخليل في جنوب الضفة الغربية.

٥,٦ عينة الدراسة

تم تطبيق أداة الدراسة على العينة القصدية حيث بلغت ٢٠ مبحوثاً، وذلك لصعوبة الوصول إلى جميع أفراد مجتمع الدراسة، حيث تقوم بتحقيق أهداف الدراسة وتتوافق مع الإطار النظري الذي بنيت الأداة من أجله.

٦. نتائج الدراسة ومناقشتها

أسباب نشوء وتمظهر العصبية القبلية

لوحظ من خلال المقابلات التي تمت مع وجهاء العشائر أن هناك أسبابا عديدة تدعو للعصبية والولاء للقبيلة، وكان أبرز تلك الأسباب التي تتمثل في طبيعة البنية المعرفية والبنية الاجتماعية الاخلاقية والبناء السياسي والبنية الاقتصادية. تشير المقابلات أن هناك العديد من الأبنية المعرفية التي تعمل كسيرورة دائمة في التفكير الولائي والعصبية المتمثلة في مجموع القيم الثقافية التي أكدت على تناقلها الأجيال المتعاقبة، وخاصة الأفكار المتحيزة والمتعصبة للعشيرة والتي يتم تعليمها للأجيال من خلال التنشئة الاجتماعية ومحاكاة أساليب التربية التقليدية في إعادة إنتاج القيم والعادات والتقاليد بشكل عام، والأفكار القيمية العصبية بشكل خاص مما أدى إلى انحصار تفكير الفرد ضمن تفكير الجماعة.

يعتقد الأفراد بأن مصيرهم مرتبط بمصير الآخرين، كما هو الحال في الخضوع الفردي للأفراد الكبار أو المتسلطين، وهذا يحد ذاته يحد من حرية الفرد التي ارتبطت ذهنيا بالحرية الجماعية هذه البنية المعرفية كانت بمثابة القوة الكامنة المحركة لسلوك أفراد القبائل يعززها مفاهيم نفسية من الشعور بالخوف والضعف أمام مكانة سلطة القبائل الأخرى. مما دعا الأفراد أمام هذا الواقع إلى البحث عن الأمن و الامان الذي توفره القبيلة أو العشيرة لأفرادها وهذه النتيجة تتفق مع وجهة نظر (الجابري، ١٩٩٢، وبن خلدون؛ والهوراني، ٢٠١٢) الذين أكدوا على أن الأفراد يهتمون بالبحث الدائم عن الحماية وعراقة النسب. إلا أن أصحاب التفسير النفسي قد ارجعوا ذلك السلوك العصبي إلا أن الفرد المتعصب هو بحكم المريض عقليا ونفسيا (أسعد الإمارة) بينما الباحث (لوبون، ٢٠١٥) قد أطلق على هذا السلوك المتعصب "العدوى العقلية بين أفراد الجماعات."

من الأسباب الأخرى التي عززت مفهوم العصبية القبلية والتي تمثلت في جزء من البنية الاجتماعية والاخلاقية حيث يمتلك هؤلاء الأفراد المتعصبين الوعي الزائف ليقودهم بالتسليم والتبني للمفاهيم الاجتماعية بشكل عام كالمفاخرة بالنسب، وانتشار التخلف والجهل ووجود بعض رجال العشائر غير المؤهلين وبعض المنتفعين، وتراجع مفهوم العدالة الاجتماعية في الممارسة لوجود الظلم والاستمرار في السكن بالقرب المكاني لذوي القرابة من الدم بشكل عام كما هو الحال في بعض القرى والمدن والمخيمات الفلسطينية في جنوب الضفة الغربية.

كان للتنشئة الاجتماعية التقليدية دوراً بارزاً كوسيلة معززة للخضوع الاجتماعي تحت وطأة تقسيمات العمر والثقافة الذكورية والعرف العشائري لعب دوراً بارزاً في احياء مفاهيم العصبية القبلية وتناقلها بين الأجيال من جديد (إعادة انتاج الأبنية الاجتماعية) فقد ذكر السيد(ج، د) "إن التنشئة الاجتماعية السلبية وسيلة مهمة في نشوء العصبية القبلية". ولوحظ أن هناك تراجعاً في الوازع الأخلاقي والديني لدى أفراد المجتمع المحلي وهو في ازدياد ملحوظ يأخذ أشكالاً متعددة في المشكلات الاجتماعية المتنوعة عدا عن أن التطور التكنولوجي لم يتم استثماره بشكل فعال وكان له أثر سلبي، وذكر السيد (د، ز) "إن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي في ظل الجهل والتخلف قد زاد حجم المشاكل وخاصة التي تتعلق بالشرف."

وبهذا يمكن القول أن وجود القبائل والعشائر في المجتمع المحلي الفلسطيني هو وجود موضوعي خارج عن نطاق التفكير الفردي كظاهرة اجتماعية لها امتداد تاريخي، كجزء من ثقافة المجتمع الكلي، ويعتبر الولاء القبلي بالنسبة للأفراد هو ذلك الرمز "المقدس" لمنظومة القيم الاجتماعية، والتي يتطلب الالتزام بها والحفاظ عليها والدفاع عنها. على الرغم من التغيير الذي حدث في بعض الأبنية الاجتماعية كالحراك المكاني واختلاف الشكل الوظيفي للأسرة وتطلعها إلى بناء الأسرة النووية، والاتجاه نحو التعليم الأكاديمي، إلا أن ذلك لم يمنع من إعادة انتاج نمط انتاج اجتماعي تقليدي، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصل له الباحث(الكندري، ٢٠١٦) حيث أن هذا الوجود الموضوعي لنمطية الحياة العشائرية قد فرض شبكة من العلاقات الاجتماعية المتجانسة في سلوكها كامتداد وانعكاس لتلك الانماط الحياتية خاصة في رداة الفعل والسلوك المستدعي من الذاكرة الاجتماعية الجمعية للثقافة السائدة المتميزة بمتطلباتها الخاصة والتي قد تكون إحداها الاستجابة العمياء وبدون تفكير نحو التعصب القبلي وهذا يتماهى مع دراسة (لبز تراكي وآخرون، ٢٠٠٦) "من أن الموروث الشعبي لا يتعارض مع طبيعة المجتمع وأفكاره والتي لا زالت تتمسك بالحمولة والعائلة."

كما أن للأسباب السياسية مقامها الفاعل في تعزيز العصبية القبلية من وجهة نظر وجهاء العشائر فقد لوحظ من خلال المقابلات التي تمت معهم ان هناك العديد من الأسباب السياسية التي عززت العصبية القبلية التي تمثلت في الأسباب

الآتية: انتشار الفساد السياسي، ضعف القانون وعدم عدالته، سياسات الاحتلال الرامية لإذكاء الفتن والتعصب، وتضارب المصالح السياسية، فقد ذكر السيد(ع، ج) "إن انتشار فساد السياسيين وفلة الحكم تعزز العصبية". و ذكر السيد (د، ز) "عدم قدرة المحاكم على تغطية كافة المشاكل بين الناس سبب في التعصب مما استدعى رجال العشائر لتطويق المشاكل وحلها."

وبهذا يمكن القول أن الاسباب السياسية سابقة الذكر قد عززت مفهوم العصبية لدى الأفراد، وخاصة أن المصالح السياسية تلعب دورا مزدوجا في انتاج علاقة تتمظهر فيها المصالح الاقتصادية والسياسية في كلا الاتجاهين من حيث التأثير والتأثير بين العشائر ومؤسسات الدولة تكون على شكل ولاء يعاد انتاجه كسلوك جمعي يومي، قد يستدعي المطالبة الحثيثة لنيل الحماية لأفراد العشائر وكذلك الحشد التضامني كمطلب أساسي يتم الوصول اليه من خلال التفاوض بين العشائر والسلطة السياسية، ولوحظ أيضا أنه في حال عدم القدرة على إجراء التفاوض بسبب عدم قدرة الدولة على تنفيذ القانون فإن ذلك أيضا ينعكس على التعزيز الضمني المتحيز للقانون العشائري والذي هو في غالبه غير مكتوب على حساب القانون الوضعي. وقد ذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك حينما أشار إلى أن مفهوم العصبية مرتبط ارتباطا عضويا بالدولة والعلاقات السائدة فيها وفي حال انتهاء العصبية فإن الدولة ستنتهار (ابن خلدون، ٢٠١٤).

مثلت الأسباب الاقتصادية بعدا آخرهما في تعزيز مفاهيم العصبية القبلية وكان ذلك واضحا من خلال المقابلات التي تمت مع وجهاء العشائر فقد ذكر السيد (د، ع) " أن المال والمادة كالإرث والعقارات ورجوع الشيكات أكثر أسباب المشاكل الاجتماعية بين الأفراد" وذكر السيد(خ، م) "الأسباب الاقتصادية التي ساعدت على العصبية القبلية انتشار البطالة وسوء الأوضاع الاقتصادية مثل تراكم الديون". يتضح من خلال المقابلات أن البنية التحتية الاقتصادية بما لها وما عليها كان لها إنعكاسا واضحا في البنية الفوقية للعلاقات الاجتماعية السائدة ما بين العشائر والتي تعزز العصبية تبعا للمصالح الاقتصادية المتبادلة في علاقات الانتاج وقوى الانتاج داخل المجتمع الفلسطيني وهذا يتفق مع طرح ماركس في أثر البنية الاقتصادية التحتية على البيئة الفوقية، وكذلك يتفق مع طرح ابن خلدون في شرحه ل (صور الظلم وإفساد العمران يكون من خلال التسلط على أموال الناس بالغصب والإكراه).

بالرغم من بعض التحول الاقتصادي في علاقات الانتاج والتحول من نمط الانتاج الرعوي إلى نمط الانتاج الرأسمالي الكبير إلا أن ذلك قد رافقه انتشار البطالة وزيادة الاستهلاك وسوء الأوضاع الاقتصادية للبلدان الفقيرة والنامية، فقد أسهم ذلك في خلق مشاكل اجتماعية اقتصادية انعكست على الأفراد وهنا تبرز المحاولات المتعددة من الأفراد للاشتباك من جديد في صراعهم مع المصالح الاقتصادية للحصول على منصب أو وظيفة أو سعي للحصول على الحقوق وتبرز هنا في اشكالا متعددة لذلك الصراع في المشاكل العشائرية من أبرزها تقاسم دفع الدية والدفاع عن مصالحهم الاقتصادية والبحث عن التطلعات الاقتصادية مما كان له الأثر في اتساع دائرة الوساطة والمحسوبية.

أشكال الممارسة العصبية

تبين من خلال المقابلات أن هناك عدة أشكال للممارسات العصبية أبرزها (القتل والثأر، سطوة العشائر، الحشد العائلي) (الفرقة)، فورة الدم، ترحيل أهل القاتل واقاربه من الدرجة الاولى (الجلوة).

برزت تلك الأشكال من الممارسة العصبية كنتاج للأسباب التي تم الإشارة إليها سابقاً خاصة في الطبيعة الخاصة للأبنية المعرفية النفسية، الاجتماعية الأخلاقية، والبنية الاقتصادية. وعلى الرغم من التغير الاجتماعي الذي لوحظ في المجتمع الفلسطيني إلا أن ذلك لم يؤدي إلى تفكيك هذه الصور النمطية من الممارسة اليومية. لكن من ناحية أخرى لوحظ في المشهد الفلسطيني أن هناك بعض الرفض لتلك الأشكال العصبية في الممارسة اليومية لكن ذلك لم يكن كافياً لإيقافها، فقد ذكر السيد (د، ز) " أن الثأر والقتل بسبب الاعتداء على الشرف أو لأي سبب آخر هو من أهم مظاهر العصبية القبلية". ان هذه النتيجة تلتقي مع تفسير بيير بورديو "من أن الهابيتوس يمثل الثقافة التي يتناقلها الافراد وينتجونها من خلال تفاعلهم وطرق معيشتهم والموضوعات المفروضة عليهم". (لخويلدي، ٢٠١٣). إلا أن تلك الأشكال من العصبية قد انعكست في مركز قوة الفرد للعصبية وممارسته الاجتماعية بما تحويه من جوانب مادية ورمزية، وفي هذا الجانب يسعى الأفراد الى الحفاظ على صورهم الذهنية لمراكز القوة حسب موقعهم وولائهم، وهذه الصور الذهنية قد اقترنت بوعي عشائري زائف. ان الأفراد في هذا الوسط الاجتماعي يقومون بترجمة نمطية لما عهدوه في كيفية التصرف مع المشاكل الاجتماعية.

لذلك ان القيام بالتأثر ينبع من وجهة نظر الفرد للذات الجماعية وليس لذاته فحسب، فهو بهذا السلوك قد جاء متناغماً في تلبية الصورة النمطية المتعصبة الجماعية، ويقول آخران هذه الصورة جاءت لتؤكد على هوية الرجل (الذكر) . يلجأ الأفراد تارة أخرى الى دائرة الفزعة (الحشد العائلي) من الاقارب والأصدقاء كترجمة لتفاعل اجتماعي غير واع ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية الشيعية، ويظهر هذا السلوك أكثر في ظل ضعف القانون أمام محاسبة الأفراد، مما استدعى رجال العشائر ليقوموا بجهد كبير في السعي نحو حل المشاكل حقناً للدماء وحفاظاً على السلم الأهلي ما أمكن.

وإذا ما أخذنا الأشكال الأخرى لممارسة العصبية من فورة الدم و الجلوة (ترحيل أهل القاتل) .. يمكن القول أن تلك الممارسة هي تعبير عن حالة من الموروث الثقافي في كيفية التعامل مع المشاكل، وقد يكون هناك مبرراً للوجهاء بترحيل أهل القاتل للحفاظ عليهم وعلى حياتهم، وهذا يأتي خوفاً من سطوة العشائر المليئة بالاحتقان للانتقام من القاتل او المعتدي أو ذويه حيث أن الولاء هنا للعشيرة وبالأحرى التعصب للعشيرة خاصة اذا كانت هي المعتدى عليها، وقد يحصل أن العشيرة المعتدى على أفرادها ان تسامح رغماً عنها خوفاً من سطوة العشيرة الأقوى أو الأكثر حشداً، أي آليه الحلول تعتمد بشكل عام على مراكز القوة من حيث العدد أو السمعة وبالتالي السطوة هنا تأتي بمعنى البحث عن الحماية خوفاً من اهلاك الممتلكات والحفاظ على الحياة ما امكن واخذ الحق باليد بدلاً من القانون، ولذلك على الكثير من العشائر إلى بناء الدواوين الخاصة بالعشائر تشكل من أشكال العصبية للعشيرة وتتقاسم الخسارة والربح في صورها المتعددة وإعادة انتاج الولاء للعشيرة بما يمثل ذلك ثقافة بطرقية تخضع لثقافة الذكر، وقد أكد هذا المعنى حليم بركات (حيث أن القبيلة لا تزال من بين أهم ركائز الحكم) أن ثقافة العصبية تجاوزت حياة البادية إلى المدن والقرى بالممارسة والمعاني الرمزية للأعراف والعادات التقليدية.

مدى إمكانية تجاوز مظاهر العصبية القبلية

لوحظ من خلال المالسيد (أن المجتمع الفلسطيني في بنيته الاجتماعية العقائدية والاقتصادية تنمى مع بنية المجتمع الرعوي والزراعي دون المستوى الصناعي المتقدم، وقد إنعكس ذلك في البنية المعرفية التي تم بلورتها عبر مفهومي التمثيل والمواءمة المستخدمان في علم النفس إلا أن مفهوم المواءمة هنا لم يقد بتعديل كاف ومنتسح في الأبنية المعرفية لدى الأفراد المتعصبين مما استدعى رجال ووجهاء العشائر إلى الحديث عن ضرورة توفير أمور تساعد على تغليب العقل على العصبية فقد ذكر السيد (د، ز) "إن أهم ما يغير تفكير الناس هو وجود قانون عادل وقوي."

وذكر السيد(د، ع) " من المهم وجود رجال أكفأ وعاقلين يحكموا بمخافة الله ". وذكر السيد(ج، د) " لا بد من رفع نسبة التعليم العالي في المجتمع الفلسطيني لرفع الوعي وإعطاء دورات لرجال العشائر ". وذكر السيد(أ، ب) " لا بد من العودة للدين لمساعدة رجال العشائر في الحلول."

تبين أن العصبية في مظاهرها ومضمونها تشكل تهديداً لرأس المال الاجتماعي المتمثل في الانسان الذي هو أساس العشائر، أي أن الولاء هنا أصبح أكثر نحو الانتماء للسلوك غير المقبول، وأن المشكلة ليست في العشائر بحد ذاتها وهذا يتفق أنياً مع طرح ابن خلدون (أن الولاء للقبيلة قد أفضى إلى أن ظاهرة القوة والغلبة كانت بمثابة العامل الحاسم لديمومة العشائر وبالتالي ديمومة الدول، وأن مصدر القوة والغلبة هو العصبية القبلية كنظام مهيم لدى الأفراد المتعصبين)، أي أن الممارسة النمطية في التعامل مع المشاكل الاجتماعية تكون سابقة على تحكيم العقل الرشيد.

اتضح للباحثان أن مفهوم العصبية القبلية قد برز بشكل جلي في الممارسة اليومية لأبناء العشائر الذين يبدون انتمائهم وولائهم لها بالمفاخرة والوظيفة الاجتماعية وبناء التحالفات وطريقة تبني حلولهم للمشاكل الاجتماعية وغيرها من مظاهر الحياة اليومية، ملبية طموح الأفراد بالولاء والحماية، وهذا يعني أن حرية الفرد منطوية بالحرية الجماعية القبلية، يستمد الفرد من خلالها ثقافة جماعية وبما تحمله من معنى رمزي معنوي أو مادي.

إن المفارقة أمام مظاهر العصبية القبلية كان هو الوعي لدى وجهاء العشائر بشكل عام الذين استشعروا بوعيهم وخبرتهم ضرورة التغيير العقلاني المنشود الذي من شأنه أن يساعد على ضرورة خلق ولاء عاماً للوطن بدلاً من الولاء العشائري، وأكدوا على ضرورة رفق المجتمع الفلسطيني بتفعيل القانون وتطبيقه بقوة تحت شعار العدالة والمساواة وتوفير فرص العمل لمحاربة البطالة، والاستمرار في التوعية والتوجيه لأفراد العشائر خاصة والمجتمع عامة، والبعض قد ذهب إلى المطالبة بإلغاء كلمة العشيرة من السجل المدني ورفع نسبة التعليم بين أفراد المجتمع، بينما أكد بعض وجهاء العشائر على أهمية دور الحلول

العشائرية في ظل عدم قدرة المحاكم وأجهزة الدولة على متابعة وحل كافة المشاكل، ويرى الباحثان أن هذا التدخل يعمل على حقن الدماء ما أمكن لظرف زمني ومكاني على أمل أن يتم الانتقال من واقع موضوعي في معطياته إلى خلق واقع أكثر وضوحاً وتفكيراً بالمستقبل لصالح الرمز الأعلى شأناً ومكانة وهو الوطن والمواطن.

٦,١ الخاتمة

لوحظ من خلال المقابلات فيما يتعلق بأسباب تمظهر مفهوم العصبية القبلية ان تلك الأسباب المتعلقة في البناء المعرفي النفسي والاجتماعي الأخلاقي والاقتصادي والسياسي قد ساهمت في إعادة انتاج مفهوم العصبية القبلية وصولاً لتكوين رأس المال البشري الرمزي، وهذا النموذج يقود إلى التأويل بأكثر من اتجاه فهو مفتت وعقبة لتطور مؤسسات الدولة الحديثة، وهو في الوقت ذاته كان بمثابة المظلة الآمنة بما تمثله من مجموعة من قيم الأمن والحماية وتبادل المصالح بين الأفراد خاصة في ظل الشعور بتهديد تلك المصالح أمام سياسات الاحتلال الصهيوني الهدامة.

كان واضحاً أن الولاء للعشيرة والتعصب لها أقوى من الولاء للسلطة السياسية، أي أن احتمال استمرار الولاء للعصبية القبلية كبنية متجددة هو أقوى من الولاء للدولة والسياسيين، حيث أن العلاقة التي تسود في ظل مصالح سياسية إذا ما آلت إلى الفشل فسرعان ما تكون العودة إلى التشدد في إعادة انتاج مفهوم العصبية المتمثل بالولاء لقبيلة أو العشيرة، كبديل للنصرة وهو المكان الأكثر أمناً بالنسبة للأفراد.

يمكن القول أن علاقات الانتاج للهيبية ومراكز القوة السائدة في فلسطين قد فرضت ذاتها من خلال طبيعة العلاقة مع المرحلة السياسية ونمط الانتاج الزراعي وشبه الرأسمالي والوضع القانوني، بمعنى أن جميع هذه الظروف السائدة في فلسطين قد لعبت دوراً متقدماً في فهم أعضاء المجتمع الفلسطيني لتأويل قيم التضامن الاجتماعي وتلبية احتياجاتهم بهذه الصور الاجتماعية. كان واضحاً أن القيم المادية المتعلقة بالمال والعقارات هي من أكثر القيم الإحلالية والهادمة للقيم الأخلاقية لهؤلاء المتعصبين في تشكيل وهندسة منظومة العلاقات الاجتماعية، حيث إن المنظومة الأخلاقية تشيد بما يقوله المجتمع لا بما يقبله الفرد حتى ينال ذلك الولاء، مما يدفع الكثير من الأفراد إلى الالتزام بما تمليه ثقافة وقيم العشائر التقليدية للتماهي مع التفكير البطركي بحسب تعبير (حليم بركات، ١٩٧٧) مما يستدعي من هؤلاء الأفراد المتعصبين الدفاع عن عشيرته أو اقاربه.

واتضح للباحثان أنه لا يمكن تجاهل بعض التغيرات التي واكبت الحالة الفلسطينية في البنية الاجتماعية وتطور علاقات الانتاج ومستويات التعليم الفلسطيني واتساع دائرة استخدام منظومة التطور التكنولوجي لمواكبة التطور العالمي ما أمكن ولتقصير المسافات بين الجماعات الإنسانية المختلفة لكن هذا التغير ما زال بطيئاً مقارنة بالدول الصناعية الكبرى.

وأخيراً يمكن القول أن مفهوم الولاء للعصبية له طابع مكاني اجتماعي نفسي ضيق جداً إذا ما قورن بالولاء للهوية الوطنية التي تدعو إلى خلق قيم تضامنية وطنية أكثر فعالية مما هو موجود، إن التطلع لإيجاد هوية فردية متميزة خلاقة لا يمنع من وجود هوية وطنية أكثر اتساعاً وانفتاحاً وتقبلاً للقيم الفضلى المتمثلة برأس المال الانساني والوطني.

٧. التوصيات

١. تبني مفهوم الانتماء الوطني في مناهج التربية والتعليم لمختلف المراحل التعليمية.
٢. تفعيل وتعزيز وتقوية دور القانون الوضعي في حل النزاعات العشائرية تحت شعار العدالة والمساواة.
٣. عمل ورشات توعية لوجهاء العشائر حول مخاطر العصبية القبلية.
٤. تعزيز الاحتكام للمرجعية القانونية وخاصة لدى الجيل الجديد.
٥. حملات توعية عبر الاسرة ووسائل الاعلام والمدرسة لتعزيز المنظومة الاخلاقية.
٦. عمل مؤتمر علمي حول مظاهر العصبية، وظواهر العنف المجتمعية.

بيان تضارب المصالح

يقر جميع المؤلفين أنه ليس لديهم أي تضارب في المصالح.

المراجع

- ابن منظور. (ب.د.ت). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف الجامعية للنشر والتوزيع.
- أبو سعدة، عامر جورج الياس. (٢٠١١). دور العقلية القبلية في تعطيل الوحدة العربية [رسالة ماجستير غير منشورة]. معهد الدراسات الاقليمية، جامعة القدس، ابو ديس، فلسطين، ١-١٣٣، تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٣٠ من الموقع: <https://dspace.alquds.edu/handle/20.500.12213/2307>
- أبو حديد، توفيق محمود. (٢٠١٠). التعصب القبلي في السلوك السياسي الفصائلي الفلسطيني وأثره على التنمية السياسية [رسالة ماجستير غير منشورة]. قسم التخطيط والتنمية السياسية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٣٠ من الموقع: https://scholar.najah.edu/sites/default/files/allthesis/tribal_intolerance_in_the_palestinian_political_behaviour_and_its_impact_on_political_development.pdf
- الإمارة، أسعد. (٢٠١٩). التدايعات النفسية والاجتماعية لظاهرة التعصب. مجلة النبأ المعلوماتية. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٢٧ من الموقع: <https://m.annabaa.org/arabic/annabaamagazine/18123>
- باركود، علامة. (٢٠١٠). العصبية القبلية، عودة لجاهلية في أبعش صورها. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٠٩ من الموقع: www.alukah.net
- البخاري، ومسلم. (٢٠١١). شرح حديث من دعا إلى عصبية ومن مات على عصبية. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٢٧ من الموقع: <https://islamqa.info/ar/answers/169674>
- البراك، أحمد. (٢٠١٨). الأحداث الجانحين والقضاء غير النظامي - محافظة الخليل نموذجاً". مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الانسانية والاجتماعية، ٤٥ (١)، ص ٧٢-٩٠. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٣٠ من الموقع: <https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy/article/view/1950>
- بركات، حليم. (١٩٩٨). المجتمع العربي المعاصر. ط٦، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- البرجاوي، مولاى المصطفى. (٢٠١٠). الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون، www.alukah.net
- تراكي، ليلى وآخرون. (٢٠٠٦). القضاء غير النظامي: سيادة القانون وحل النزاعات في فلسطين. التقرير الوطني حول نتائج البحث الميداني". معهد الحقوق، بير زيت. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٣٠ من الموقع: <http://lawcenter.birzeit.edu/lawcenter/images/stories/demo/outputfile/71fd34534f.pdf>
- الجابري، عمر عابد. (١٩٩٢). فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي. ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جرادات، ادريس محمد. (٢٠١٤). الصلح العشائري وحل النزاعات، نابلس: جامعة النجاح الوطني.
- حرارة، محي الدين فايد. (٢٠١٨). اتجاهات العاملين في الهيئة العليا لشؤون العشائر للمحافظات الجنوبية ودورهم في تعزيز السلم الاجتماعي لقطاع غزة. مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الانسانية والاجتماعية، ٤٤ (٢)، ٤٤. ص ٧٢-٩٣.
- الهوراني، محمد عبد الكريم. (٢٠١٢). العشيرة رأسمال اجتماعي، دراسة سوسولوجية لمكونات الولاء العشائري وتحولاته في المجتمع الاردني. المجلة الاردنية للعلوم الاجتماعية، ٥ (٢)، www.ahewar.org
- الخويلدي، زهير. (٢٠١٣). نظرية الهايتوس والرأسمال الرمزي عند بيير بورديو.
- ذياب، فوزية. (١٩٨٠). القيم و العادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية. بيروت: دار النهضة.
- الشداي، عبد السلام. (٢٠٠٥). تحقيق في مقدمة بن خلدون. ط١، الدار البيضاء.
- شرابي، هشام. (١٩٨٠). مقدمة لدراسة المجتمع العربي. بيروت.

شرابي، هشام. (١٩٨٧). البنية البطريركية: بحث في المجتمع العربي المعاصر. ط ١، عكا: دار الاسوار للنشر والتوزيع.
عبد الرازق، مصطفى. (٢٠٠٣). العصبية القبلية على ضوء الفكر الخلدوني. تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١٠/٣١ من الموقع:
www.arab48.com

عمارة، محمد. (١٩٧٦). من هنا بدأت مسيرتنا للوحدة العربية. قضايا عربية، مجلة الاعداد، تم استرجاعه بتاريخ
٢٠١٩/١١/١٨ من
<https://www.alfikralarabi.org/modules.php?name=News&file=article&sid=1387>

الكندري، يعقوب. (٢٠١٦). القبليّة والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر – المجتمع الكويتي مثلاً. مجلة
عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، (١٥)، ٨٠-٥١، تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٣٠ من الموقع:
<https://omran.dohainstitute.org/ar/issue015/Pages/art04.aspx>

لوبون، غوستاف. (٢٠١٥). سيكولوجية الجماهير". ترجمة هاشم صالح، ط ١، بيروت: دار الساقى للنشر والتوزيع.
معجم اللغة العربية. (٢٠٠٤). المعجم الوسيط. القاهرة: دار الشروق الدولية للنشر والتوزيع.

نادرة، شلهوب ومصطفى، عبد الباقي. (٢٠٠٣). القضاء والصلح العشائري وأثرهما على القضاء النظامي في فلسطين. سلسلة
العدالة الجنائية، معهد الحقوق، جامعة بيرزيت، فلسطين، تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٣٠ من الموقع:
<https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy/article/view/1882>

وظفة، علي أسعد والشريع، سعد رغيان. (٢٠١٢). تحديات التعصب وخلفياته الثقافية في المجتمع الكويتي. مجلة العلوم
الانسانية والادارية، جامعة المجمع، (١)، ٨٠-٥١، تم استرجاعه بتاريخ ٢٠١٩/١١/٣٠ من الموقع:
http://gulfpolicies.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1087%3A2012-06-24-17-06-13&catid

وافي، علي عيد الواحد. (٢٠١٤). تحقيق في مقدمة ابن خلدون. مصر: دار النهضة للنشر.
جامعة القدس المفتوحة. (٢٠٠٨). مناهج البحث العلمي. عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحة.